إلهامات من القرآن

إهداء للأستاذ/ صفوت جيلاني





بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ (1) قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا (2) نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا (3)

أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا (4) إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا

(5) إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا (6) إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا
طَوِيلٗا (7) وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا (8) رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا (9) وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا
جَمِيلٗا (10) وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا

(11) إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا (12) وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا

(13) يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا

(14) إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ
رَسُولٗا (15) فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا

فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا(16)

(17) ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا (18) إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ
ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا (19) ۞إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ
وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ

عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ

عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ

يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ

فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ

وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ
عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ(20)

***

---

* تفسير تفسير القرآن/ التستري (ت 283 هـ)

يٰأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ

قوله تعالى: يٰأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ [1] قال:
المزمل الذي تزمل في الثياب وضمها عليه،
وهو في الباطن اسم له معناه:
يا أيها الجامع نفسه ونفس الله عنده.

***

- حقائق التفسير/ السلمي (ت 412 هـ)

يٰأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ * قُمِ ٱللَّيلَ إِلاَّ قَلِيلاً

قال ابن عطاء:
يا أيها المخفى ما يظهر عليك من آثار الخصوصية
آن أوان كشفه فأظهره
فقد أيّدناك ممن يتبعك ويوافقك ولا يخذلك ولا يخالفك
وهو أبو بكر رضى الله عنه وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه.

***

- **لطائف الإشارات / القشيري (ت 465 هـ)**

يٰأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ * قُمِ ٱلَّيلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِّصْفَهُ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْآنَ تَرْتِيلاً

قوله جلّ ذكره: يٰأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيلَ إِلاَّ قَلِيلاً .

أي: المتزمل المتلفِّف في ثيابِه. وفي الخبر:
**" أنه كان عند نزول هذه الآية عليه مِرْط من شَعْرٍ وَبَرٍ،
وقالت عائشة رضي الله عنها: كان نصفُه عليَّ وأنا نائمة،
ونصفه على رسولِ الله وهو يُصَلِّي،
وطولُ المِرْطِ أربعةُ عشر ذراعاً ".**

نِّصْفَهُ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْآنَ تَرْتِيلاً .

***

قُمِ ٱلَّيلَ إِلاَّ قَلِيلاً نصفَه بَدَلٌ منه؛ أي: قم نصف الليل،
وأَنْقِصْ من النصف إلى الثلث أو زِدْ على الثلث،
فكان عليه الصلاة والسلام في وجوب قيام الليل مُخَيَّراً

ما بين ثلث الليل إلى النصف وما بين النصف إلى الثلث.
وكان ذلك قبل فَرْضِ الصلوات الخمس، ثم نُسِخَ بعد وجوبها على الأمة – وإن كانت بقيت واجبة على الرسول صلى الله عليه سلم.

ويقال: **يا أيها المتزمل بأعباء النبوَّة..** قُمِ ٱلَّيلَ .

ويقال: يا أيها الذي يُخْفِي ما خصصناه به قُمْ فأنذِرْ.. فإنّا نصرناك.

ويقال: قُمْ بنا.. يا مَنْ جعلنا الليل ليسكن فيه كلُّ الناس.. قُمْ أنت.

فليسكنْ الكلُّ.. ولْتَقُمْ أنت.

ويقال: لمَّا فَرَضَ عليه القيام بالليل أخبر عن نَفْسِه لأجل أُمَّته وإكراماً لشأنه وقدرة.

***

وفي الخبر: **" أنه ينزل كلَّ ليلة إلى السماء الدنيا... "**
ولا يُدْرَى التأويل للخبر، أو أنَّ التأويل معلوم..
وإلى أن ينتهي إلى التأويل فللأحبابِ راحاتٌ كثيرة، ووجوهٌ من الإحسان موفورة.

قوله جلّ ذكره: وَرَتِّلِ ٱلْقُرْآنَ تَرْتِيلاً .

ارْتَعْ بِسِرِّك في فَهْمِه، وَتأَنَّ بلسانِك في قراءته.

***

تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن/ البقلي (ت 606 هـ) *

يٰأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ * قُمِ ٱلَّيلَ إِلاَّ قَلِيلاً

يٰأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ قُمِ ٱللَّيْلَ
إن الله سبحانه اشتاق إلى مناجاة حبيبه ﷺ

فناداه أن يقوم فى أجواف الليالى بحسن الإقبال ونعت الإستقامة
فى مشاهدته فإنه المقام المحمود الذى خصه الله به دون غيره
وهذا كقوله فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً وتسميته بالمزمل..
لأنه مخفى عن عيون أهل الحدثان لا يُطلع على ما خصه الله به
من لطفيات قربه وغرائبات دنوه أحد ..من العرش إلى الثرى،
أى قم عن مكمن الغيب وأظهر شرائفات اصطفائيتك
برفعك أعلام نبوتك ورايات رسالتك فإنك مؤيد منصور.
كان متزملا بكساء لاطلاعه بامتناع أحدية الأزل
بأن لا يدركها أهل الحدثان فمن هموم فقدانها
دخل تحت كساء الحياء والإجلال من ظهور عظمة الحق له
وهو فى منزل بين رجاء الوجدان وخوف الفقدان .

وقال القاسم: يا أيها المزمل بالنبوة ويا أيها المدثر بالرسالة.

***

---

* تفسير القرآن / ابن عربي (ت 638 هـ)

أَوْ زِدْ * يٰأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ * قُمِ ٱلَّيلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِّصْفَهُ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْآنَ تَرْتِيلاً *

يا أيها المزمّل أي: المتلفف في غواشي البدن وملابسه

قُمْ من نوم الغفلة سائراً في سبيل الله، سالكاً مسالك بيداء النفس

ومراحل مفازة القلب إلى الله، ليل مقام النفس واستيلاء الطبع

إلاّ قليلاً بحكم الضرورة للاستراحة والأكل والشرب ومصالح البدن

ومهماته التي لا يمكن التعيّش بدونها وذلك هو نصفه،

أي: نصف كونه في مقام الطبيعة من الزمان بأسره..

ليكون الربع من الدورة التامة التي هي أربع وعشرون ساعة

للاستراحة.. والربع لضروريات البدن ..

أو انقص منه قليلاً إن كنت من الأقوياء حتى يبقى الثلث

فيكون السدس للاستراحة والسدس لضروريات المعاش.

أو زد عليه قليلاً إن كنت من الضعفاء حتى يصير إلى الثلثين

فيكون الثلث للاستراحة والثلث للضروريات

والثلث للاشتغال بالله والسير في طريقه.

ورتِّل القرآن

أي: **فصل ما في فطرتك من المعاني والحقائق مجموعة،**

وفي استعدادك مكنونة بإظهارها وإبرازها بالتزكية والتصفية .

***

تفسير روح البيان في تفسير القرآن/ اسماعيل حقي (ت 1127 هـ)

يٰأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ

يا أيها المزمل .. أى المتزمل من تزمل بثيابه

إذا تلفف بها وتغطى فأدغم التاء فى الزاى فقيل المزمل بتشديدين،

كان عليه السلام نائما بالليل متزملا فى قطيفة أى دثار مخمل

فأمر أن يترك التزمل إلى التشمر للعبادة ويختار التهجد على الهجود.

وقال ابن عباس رضى الله عنهما:

أول ما جاءه جبريل خافه فظن أن به مسا من الجن

فرجع من جبل حرآء إلى بيت خديجة مرتعدا

وقال زملونى فبينما هو كذلك إذ جاء جبريل وناداه وقال يا أيها المزمل.

***

وعن عكرمة

أن المعنى يا أيها الذى زمل أمرا عظيما أى حمله

والزمل الحمل وازدمله احتمله

قال السهيلى رحمه الله:

ليس المزمل من أسمائه عليه السلام التى يعرف بها

كما ذهب إليه بعض الناس وعده فى أسمائه

وإنما المزمل مشتق من حالته التى كان عليها

حين الخطاب وكذا المدثر

وفى خطابه بهذا الإسم فائدتان :-

إحداهما الملاطفة فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب

وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التى هى عليها

كقول النبى عليه السلام لعلى رضى الله عنه

حين غاضب فاطمة رضى الله عنها أى أغضبها وأغضبته

فأتاه وهو نائم قد لصق بجنبه التراب فقال له " **قم يا أبا تراب** "

إشعارا بأنه غير عاتب عليه وملاطفة له

وكذلك قوله عليه السلام لحذيفة رضى الله عنه " **قم يا نومان** "

وكان نائما ملاطفة وإشعارا بترك العتب والتأديب

فقول الله تعالى لمحمد عليه السلام يا أيها المزمل تأنيس وملاطفة

ليشعر أنه غير عاتب عليه،

***

والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد ليله

لينتبه إلى قيام الليل وذكر الله فيه لأن الإسم المشتق من الفعل

يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل بذلك العمل واتصف بتلك الصفة .إنتهى.

وفى فتح الرحمن الخطاب الخاص بالنبى عليه السلام

كا أيها المزمل ونحوه عام للأمة إلا بدليل يخصه

وهذا قول أحمد والحنفية والمالكية وقال أكثر الشافعية

لا يعمهم إلا بدليل وخطابه عليه السلام لواحد من الأمة هل يعم غيره

قال الشافعى والحنفية والأكثر لا يعم .

وقال أبو الخطاب من ائمة الحنابلة إن وقع جوابا عم وإلا فلا.

***

البحر المديد في تفسير القرآن المجيد/ ابن عجيبة (ت 1224 هـ) * مُختصر

يٰأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ * قُمِ ٱلَّيلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِّصْفَهُ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً *

أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْآنَ تَرْتِيلاً * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً *

إِنَّ نَاشِئَةَ ٱللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً *

إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً * وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً *

رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلاً *

وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً

يقول الحق جلّ جلاله: يا أيها المزَّمِّلُ

وفي خطابه بهذا الاسم فائدتان:

إحداهما الملاطفة فإنّ العرب إذا قصدت ملاطفةَ المخاطَب،

وتَرْكَ عتابه، سَمَّوه باسم مشتق من حالته، كقوله ﷺ

لعليّ حين غاضب فاطمة: " قم أبا تراب "

إشعاراً له أنه غير عاتب عليه، وملاطفةً له.

والفائدة الثانية: التنبيه لكل متزمّل، راقد ليله، لينتبه إلى قيام الليل

وذكرِ الله فيه لأنّ الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه المخاطَب،

وكل مَن عمل بذلك العمل، واتصف بتلك الصفة. هـ

***

والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لإظهار كمال الاعتداد

بشأن الجزاء المقارن للقيام، والإيذان بفضله،

وكون القيام فيه بمنزلة القيام في أكثره في كثرة الثواب.

وقيل: " نصفه " بدل من " الليل " ، و " إلاّ قليلاً " والمعنى: التخيير بين أمرين،
بين أن يقوم أقل من نصف على البت، وبين أن يختار أحد الأمرين،

وهما النقصان من النصف، والزيادة عليه،

والذي يليق بجزالة التنزيل هو الأول.

وقيل: كان فرضاً وقت نزول الآية،

وقيل: كان فرضاً على النبي ﷺ خاصة،

وبقي كذلك حتى تُوفي.

***

وَرَتِّلِ القرآن في أثناء قيامك بالليل، أي: اقرأه على تُؤدة

وتبيين حروفٍ ترتيلاً بليغاً بحيث يتمكن السامع مِن عَدِّها،

وترتيلُ القرأن واجب،

فمَن لم يرتِّله فهو آثم إذا أخلَّ بشيء من أداء التجويد،

كترك الإشباع أو غيره. والمقصود من الترتيل: تدبُّر المعاني،

وإجالة الفكر في أسرار القرآن.

قال في الإحياء: واعلم أنّ الترتيل أشد تأثيراً في القلب من الهذرمة والاستعجال، والمقصود من القرآن: التفكُّر، والترتيلُ مُعين عليه

إِنَّا سنُلْقِي أي: سنُنزل عليك قولاً ثقيلاً وهو القرآن العظيم،

المنطوي على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلّفين،

أو: ثقيلاً على المنافقين،

أو: ثقيلاً لرزانة لفظه، ومتانة معناه،

أو: ثقيلاً على المتأمِّل

لافتقاره إلى مزيد تأمُّل وتفرُّغ للسر، وتجريدٍ للنظر،

أو ثقيلاً في الميزان،

أو ثقيلاً تلقيه من جبريل،

فقد كان عليه السلام ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البردِ،

فَيَفْصِم عنه، وإنّ جبينه لَيتَفَصَّدُ عَرَقاً.

إِن ناشئةَ الليلِ أي: قيام الليل،

أو: إنَّ النفس التي تنشأ مِن مضجعها إلى العبادة، أي: تنهض،

أو: إن العبادة التي تنشأ بالليل، أي: تحدث،

أو: ساعات الليل لأنها تنشأ ساعة فساعة،

وكان زين العابدين يُصلّي بين العشاءين ويقول: هذه ناشئة الليل.

قلت: وهذا وقت كان السلف يحرصون على عمارته بأنواع العبادات لأنه يمحوا ظلمة النهار التي تُكتسب من شغل الدنيا.

هي أشَدُّ وَطْأً أي: موافقة للقلب.

وقرأ البصري والشامي وِطاء أي: وِفاقاً، أي: يوافق فيها القلبُ اللسانَ،

وعن الحسن:

أشدّ موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق وغيرها،

***

أو: أشدّ ثباتَ قَدَم وكلفة، أي: أثقل على المصلي من صلاة النهار لطرد النوم

في وقته، من قوله عليه السلام: " اللهم اشْدُدْ وطْأَتَك على مُضَرَ "

وأقْوَمُ قِيلاً

أي: أصْوب مقالاً، وبه قرأ أنس، فقيل له: إنما هو أقوم

فقال: أقوم وأصوب واحد، وإنما كانت قراءة الليل أصوب قولاً

لقلة خطأ اللسان فيها لتفرُّغه من ثقل الطعام،

وقيل: المعنى:

أثبت قراءةً لحضور القلب لهدوّ الأصوات، وانقطاع الحركات.

إنّ لك في النهار سَبْحاً طويلاً أي: تصرُّفاً وتقلُّباً في مهمّاتك

واشتغالاً بتعليم أمتك، فتفرّغ بالليل لعبادة ربك.

واذكر اسْمَ ربك أي: دُم على ذكره في الليل والنهار، على أي وجهٍ،

من تسبيح وتهليل وتكبير، وقراءة قرآن، وتدريس علم.

وتبتلْ إِليه أي: انقطع إلى عبادته عن كل شيءٍ، بمجامع الهمة، واستغراق العزيمة.
والتبتُّل: الانقطاع إلى الله تعالى

بتأميل الخير منه دون غيره،

وقيل: رفض الدنيا وما فيها، والتماس ما عند الله.

وأكّده بقوله: تبتيلا زيادةً في التحريض،

مع ما فيه من رعاية الفواصل.

ربُّ المشرقِ والمعربِ أي: هو رب، أو: لا إِله إلاّ هو ،

وقيل: لا إله إلاّ هو، أي: وربِّ المشرق لا إله إلا هو،

كقولك: والله لا أحد في الدار.

فاتَّخِذْه وَكِيلا أي: وليًّا وكفيلاً بما وعدك من النصر والعز.

إذا علمت أنه ملك المشرق والمغرب،

وأن لا إله إلا هو، فاتخذه كفيلاً لأمورك.

واصبرْ على ما يقولون في جانبي من الصاحِبة والولد، وفيك مِن الساحر والشاعر،

واهجرهم هَجْراً جميلاً بأن تُجانبهم وتداريَهم ولا تجافهم، بل كِلْ أمرهم إلى ربهم،
كما يُعرب عنه ما بعده، أون: جانبهم بقلبك وخالطِهم بجسمك مع حسن المخالطة
وترك المكافأة،

وقيل: هو منسوخ بآية القتال

***.

الإشارة:

يا أيها المتزمّل بالعلوم والمعارف والأسرار، قُم الليل شكراً

لِما أُسدي إليك من النعم الغزار، ولذلك لمّا امتثل هذا الأمر بغاية جهده

حتى تفطّرت قدماه، قال: " أفلا أكون عبداً شكوراً " ،

***

وقيام الليل لا يخص بالصلاة، بل لكل مقام مقال،

فقيام العُبَّاد والزُهَّاد للتهجد والتلاوة والأذكار والاستغفار بالأسحار،

وقيام العارفين لفكرة الشهود والاستبصار، وهي صلاة القلوب الدائمة. وقوله تعالى:

ورتِّلِ القرآنَ ترتيلا خطاب لأهل التهجُّد،

وهم ألوان مختلفة، فمنهم مَن يقطع الليل في سورة أو آية يُرددها،

وهم أهل الخوف المزعِج، أو الشوق المقلِق،

ومنهم مَن يختم القرآن في مدة قليلة،

قلت: وهذا من باب الخوارق التي تكون للصالحين،

تطوي لهم مسافة الكلام كما تُطوى لهم مسافة الزمان والمكان،

فسبحان القادر على كل شيء؟!.

وقوله تعالى: إنَّا سنُلقي عليك قولاً ثقيلا ،

قال القشيري: ثقيلاً أي: له خطْر

ويقال: لا يقوى عليه إلاَّ مَن أيّد بقوة سماوية، ورُبّي في حجر التقريب.

هـ. قال الورتجبي: وكيف لا يثقل قولهُ سبحانه وهو قديم،

وأجدر أن تذوب تحت سطوات عزيته الأرواح والأشباح والأكوان والحدثان،

بل هو بذاته يحمل صفاته لا غير،

***

وكان عليه السلام مؤيداً بالاتصاف بالحق، فكان يحمل الحق بالحق. هـ.

المراد منه. إنَّ ناشئة الليل أي: نشأة الفكرة في الليل هي أشد وطأً،

أي: موافقة، وغرقاً في بحر الذات،

.وتيار الصفات لتفرغ القلب حينئذ من شواغل الحس

وكان الشيخ " أبو يزيد " يخرج كل ليلة إلى الصحراء،

ويبيت واقفاً على أطراف قدميه، شاخصاً ببصره إلى السماء،

فقال لمَن رآه كذلك: دَوَّرَني الحق تعالى في الفلك العلوي والسفلي،

وأطلعني على عجائب ملكوته... الخ كلامه،

وما كانت إلاَّ فكرته غاصت في بحر الذات، ودارت مع التجليات العلوية والسفلية ووقوفه في ذلك لغلبة الحال،

ولله رجال في زماننا هذا يقلبون الوجود، ويَدُورون معه،

وهم على فُرشهم، لتمكُّنهم من الشهود بلا تعب.

وقوله تعالى: إن لك في النهار سَبْحاً طويلا السَبح هو العوم،

أي: إنَّ لك في النهار عوماً طويلاً في بحار الأحدية،

فاستغرق ليلك ونهارك في ذلك، واذكر اسم ربك بقلبك وروحك وسرك،

وهو عين السَبْح المتقدم، وتبتّل إليه تبتيلاً في الظاهر والباطن،

فبالتبتُّل يحصل الوصول، وبذكر الاسم باللسان يحصل الذكر للجنان،

ثم يسبح في بحر العيان.

رب المشرق والمغرب، أي: مشرق العيان ومغرب قمر الإيمان،

بسطوع شمس العيان. لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً،

وثِقْ به كفيلاً يعطك عطاءً جزيلاً، ويمنحك فخراً جليلاً،

واصبر على ما يقولون في جانبك، فإنَّ الداخل على الله منكور،

والراجع إلى الناس مبرور.

واهجرهم هجراً جميلاً ،

قال القشيري: أي: عاشِرهم بظاهرك، وبايِنْهم بسرِّك وقلبك،

ويُقال: الهجرُ الجميل: ما يكون بحق ربك،

لا بحظِّ نفسك. هـ.

وإذا هَجَرْتَ أهل الإنكار، فكِلْ أمرهم إلى الواحد القهّار،

كما قال تعالى: وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ.

***

تفسير تفسير الجيلاني/ الجيلاني (ت713هـ) *

يٰأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ * قُمِ ٱلَّيلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِّصْفَهُ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً *

أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْآنَ تَرْتِيلاً * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً *

إِنَّ نَاشِئَةَ ٱللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً * إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحَاً طَوِيلاً *

وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً * رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ

لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلاً * وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ *

وَٱهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً * وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً *

إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالاً وَجَحِيماً * وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً*

***

يٰأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ [المزمل: 1] المتغطي المتلفف بثوبه وقطيفته نائماً،

أو مرتدعاً عمَّا دهشه بدء الوحي

***

شأن النبوة والرسالة ما هو هذا قُمِ ٱلَّيلَ وداوم على التهجد فيه إِلاَّ قَلِيلاً [المزمل: 2] منه؛ للاستراحة والنوم تقويةً لمركب بدنك،

وتنشيطاً له على العبادة

يعني: نِّصۡفَهُ أي: نصف الليل أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ أي: من النصف قَلِيلاً [المزمل: 3]

ليقرب الثلث

أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ أي: على النصف حتى يقرب الثلثين،

وإنما خير بين هذه الثلاثة؛ لأنه فرض أولاً قيام الكل،

ولمَّا تحرجوا ومرضوا، وشق عليهم الأمر، رحم الله عليهم

فخيرهم في هذه الأوقات بناء على تفاوت أمزجة الناس في عروض الكلال بالسهر، وبعد القيام تهجد نَافِلَةً لَّكَ [الإسراء: 79]،

وَرَتِّلِ في تهجدك ٱلۡقُرۡآنَ تَرۡتِيلاً [المزمل: 4] أي: بَيِّن حروفه،

وقررها في مخارجها إلى حيث لا يشتبه على السامع العارف

بأساليب الكلام ومنطوقات الألفاظ معانيها

***

وبالجملة: اقرأها على تؤدة تامة، وطمأنينة كاملة بعزيمة خالصة،

وإرادة صادقة إلى حيث تتأثر من ألفاظ القرآن فطرتك وفطنتك

التي هي خلاصة وجودك، وزبدة أركانك وطبيعتك؛

إذ بها توسلك ووصولك إلى مقصد التوحيد واليقين.

***

وبالجملة:

إِنَّا من مقام عظيم جودنا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ يا أكمل الرسل

قَوۡلاً جزلاً سهلاً، خفيفاً على اللسان ألفاظه وكلماته

ثَقِيلاً [المزمل: 5]

عظيماً على القلب رموزه وإشاراته، والاتصاف بما فيه،

والامتثال بمقتضيات أوامره ونواهيه، والاطلاع على سرائر الأحكام الموردة فيه، والإحاطة بقوامه وخوافيه،

وبالجملة: من تأمل فيه على وجه التدرب والتدبر

فقد غرق في تيار بحاره الزخار

***

وتخصيص الأمر بالليل وترتيل القرآن فيه إِنَّ نَاشِئَةَ ٱللَّيْلِ

أي: القراءة التي تنشأ من النفس في جوف الليل

حين خلو القلب عن جميع الأشغال والملاهي هِيَ أَشَدُّ وَطْأً

تأثيراً ودفعاً في القلب، وتنبيهاً له،

وإن كانت أثقل للنفس وأتعب للبدن وَأَقْوَمُ قِيلاً [المزمل: 6]

أي: أعدل الأقوال بالنسبة إلى القلب وأرسخها فيه،

وأقواها أثراً وانتباهاً بخلاف النهار

إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ الذي هو وقت الأشغال والالتفات إلى المهمات،

ومحل أنواع الملمات والواقعات؛ لذلك عرض لك سَبْحَاً طَوِيلاً [المزمل: 7]

تقلباً وتصرفاً طويلاً شاغلاً لأوقاتك،

مشوشاً لحالاتك

***

وبالجملة: الفراغ الذي يحصل بالليل لا يحصل في النهار،

فعليك أن تجتهد في التهجد، وتقرأ القرآن فيه، سيما عند الفجر

إِنَّ قُرْآنَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً [الإسراء: 78]

***

وَ بالجملة: ٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وداوم على تسبيحه وتقديسه دائماً

في أوقاتك وحالاتك، ولا شتغلنك عن ذكره مهماتك،

بل وَتَبَتَّلْ أي: تجرد وانقطع عن عموم المهام إِلَيْهِ سبحانه تَبْتِيلاً [المزمل: 8]

وتجريداً كاملاً بحيث لا يخطر ببالك الالتفات بحالك،

فكيف بحال غيرك؟

***

وكيف لا تنقطع إليه ولا تتجرد نحوه، مع أنه سبحانه

رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ أي: جنس المشارق والمغارب

التي هي ذرائر الكائنات باعتبار ظهور شمس الذات منها،

وشروقها عليها، وباعتبار بطونها وخفائها فيها؛

إذ لاَ إِلَـٰهَ أي: لا موجود في الوجود إِلاَّ هُوَ ولا شيء سواه فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلاً [المزمل: 9]
سيما بعدما لم يوجد في الوجود غيره أصيلاً؟

***

وَ بعدما اتخذته وكيلاً، وجعلته حسيباً وكفيلاً ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ أي:
المشركون المسرفون من الخرافات والجزافات التي لا تليق بشأنك،

إن شق عليك الصبر والتحمل وَٱهْجُرْهُمْ اتركهم وانصرف عنهم

هَجْراً جَمِيلاً [المزمل: 10] بشَّاشاً بسَّاماً بلا التفات إلى هذياناتهم الباطلة،

وبلا مبالاة بهم وبكلامهم، وتوكل على الله، وفوض أمر انتقامهم إليه،

فإنه يكفيك مؤنة شرورهم واستهزائهم.

ثمَّ قال سبحانه على سبيل التسلية لحبيبه ﷺ:

وَ بعدما بالغوا في قدحك وطعنك يا أكمل الرسل ذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ

يعني: دعني معهم، وفوض أمر انتقامهم إليّ، فإني أنتقم عنهم من قبلك،

وأدفع أذاهم عنك، وأغلبك عليهم،

وإن كانوا أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وذوي الثروة والسيادة، وأصحاب التنعم والوجاهة

- يريد صناديد قريش - وَ لا تستعجل في انتقامهم،

بل مَهِّلْهُمْ إمهالاً قَلِيلاً [المزمل: 11] أو زماناً قليلاً .

ولا تيأس من مكرنا إياهم إِنَّ لَدَيْنَآ معداً لهم أنواعاً من العذاب

أَنكَالاً أثقالاً؛ لتثاقلهم وعدم تحملهم وتصبرهم بمتاعب التكاليف الإلهية،

ومشاق الطاعات والعبادات المأمورة لهم من قِبَله سبحانه وَجَحِيماً [المزمل: 12]

عظيماً بدل ما يتلذذون بنيران الشهوات،

ويظلمون الناس بأنواع الغضب والطغيان

وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ ينشب في الحلق،

و لاَّ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِن جُوعٍ [الغاشية: 7]، بدل ما يأكلون من السحت والربا،

وأموال اليتامى ظلماً وَعَذَاباً أَلِيماً [المزمل: 13]

لا عذاب أشد إيلاماً منه، وهو حرمانهم عن لقاء الله،

وخذلانهم على ما فات عنهم من التحقق في كنف حفظه وجواره.

***

تم بإذن الله

2024/8/16

إعداد قدري جاد

الهرم/ علي بن أبي طالب

***